مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

العبادات وأثرها في الأخلاق الإسلامية دراسة فقهية تطبيقية

د/ سناء محمود رشيدي(*)

ملخص البحث:

تناول البحث العبادات وأثرها في الأخلاق الإسلامية من الناحية الفقهية؛ ومن ثَمَّ تناولتُ مفهوم العبادات في اللغة والاصطلاح، وتنوع العبادات بشكل عام، ومفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح، وتحدثت عن: طبيعة الأخلاق، وأهم وسائل اكتسابها، وفي الجانب التطبيقي لأثر العبادات تناولت: أثر الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج في الأخلاق الإسلامية، ثم تناولت الأخلاق في جانب المعاملات من ناحية: الإعسار والدَّيْن، وأخلاق التاجر المسلم، والأخلاق في جانب الجنايات والعقوبات من ناحية قضية العفو، والعقوبة زاجر أم جابر في الفقه الإسلامي.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أنّ الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالعبادات؛ حيث إن العبادات منتجة للأخلاق ومحققة لها، ولكل عبادة سرٌّ خاص بها في إصلاح العبد؛ فالعبادات للإنسان كالأدوية للأبدان؛ فهي أسوار تحرص الدِّين وتصون اليقين، ومن وُفق إلى العبادات أعين على الفضائل، ومن رزق الفضائل وأُبعد عن الرذائل أعين على العبادات؛ لذلك فالأخلاق الإسلامية عملية هدفها التطبيق الواقعي في حياة الإنسان المسلم.

الكلمات المفتاحية: العبادات، الأخلاق، المعاملات، الجنايات، العقوبات.

Abstract

This research investigates the acts of worship and their impact on Islamic ethics from a jurisprudential perspective. Hence, the different terms used to refer to acts of worship linguistically and terminologically, the diversity of these acts of worship in general, and the concept of Ethics in language and terminology have been the main concern of the study. Besides, the nature of morals and the means of acquiring them are also two coral elements of this paper. Moreover, the study highlights that worship has a positive impact on ethics when applied through different acts like performing Purification, Prayer, Zakat, Fasting, and Hajj. Then, ethics have been investigated in the light of its impact on interaction and transactions concerning insolvency and debt; the morals of Muslim merchants; and morals in terms of having the option of forgiving those who committed crimes under certain conditions or executing punishments. Also, the question of whether punishment is meant to be for creating docile bodies or to reform people according to the Islamic jurisprudence is answered.

To conclude, morals, in Islam, are related to and a result of the different acts of worship since acts of worship perform in a certain way that reforms a certain aspect of an individual's personality. Worship for souls is like cure for an ill body. It protects religion and preserves one's certainty. If one is guided by Allah for acts of worship, one will be endowed with the gift of acquiring virtues and vice versa. Therefore, Islamic ethics are practical and realistic, and can be possibly applied in the life of a Muslim.

Keywords: Worships, ethics, transaction, crimes, punishments.

(*) مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة أسوان.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهداهم وسار على نهجهم، في عمارة الدنيا وخدمة الدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ،،،

فإنّ أعظم ما يميز الدين الإسلامي عن غيره من الشرائع: شموليته، فهو شامل للعقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق الفاضلة، فلم يترك خُلقًا فاضلًا، أو خصلة حميدة إلا رغب فيها أيما ترغيب، ولم يترك خصلة سيئة، ولا خلقًا ذميمًا إلا حذر منه.

والأخلاق في الإسلام هي أوسع وأشمل مما جاءت به الشرائع والفلسفات والنظريات الوضعية؛ لأن الأخلاق الإسلامية " تعني التمسك بالخير، والبعد عن الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والالتزام بكل ما هو فضيلة، والابتعاد عن كل ما هو رذيلة، لتحقيق الهدف السامي من عبادة الله سبحانه وتعالي"[١].

ولذلك فُسر نجاح المسلمين الأوائل في الدعوة الإسلامية، وبناء مجتمع مترابط قوي الصلات، مؤمن بربه واثق بنفسه، تمسكهم بالأخلاق الفاضلة، وما ضاعت الأمم اليوم إلا بسبب تخليها عن الأخلاق الفاضلة في تعامل أفرادها سواء فيما بينهم، أم فيما بين غيرهم من الأمم والشعوب، وتمسكهم بالعادات والتقاليد والأعراف الغربية، والتي تتعارض مع الشرع.

والأخلاق الإسلامية الفاضلة ملازمة لقوة الإيمان، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، ومن ثم يجب المبادرة بتطبيق هذه الأخلاق في الواقع المعاصر، حتى تكون الأمة الإسلامية قدوة الأمم[٢].

لقد اهتم الإسلام بشكل أساسي بالأخلاق وتربية الضمير والوجدان الإنساني الحي الذي يدفع الإنسان نحو الاستقامة، وفعل الخير والإحساس بآلام الآخرين والعطف عليهم، وبذلك تتضح المعاني الإنسانية في النفس، وتكتمل الإنسانية في النفوس البشرية.

ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث المعنون بـــــــــ " **العبادات وأثرها في الأخلاق الإسلامية " دراسة فقهية تطبيقية.**

أهمية الموضوع:

١. تأتي أهمية الموضوع من أهمية العبادات في حياة المسلم اليومية.

---

[١] " أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية" ، عبد الحميد الصيد الزناتي، ص٧٨، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م.

[٢] " الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة "، محمد جميل الخياط، ص٧٣، ط٢،جامعة أم القري، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

٢. الحفاظ على الأخلاق الإسلامية من الاندثار والضياع.
٣. محاولة الكشف عن المفاسد التي تترتب على الفصل بين الأخلاق والعبادات من خلال إبراز النقيض.
٤. الحاجة إلي بيان سعة دائرة الفقه، فهو شامل لجميع الجوانب الحياتية، ومنها الأخلاق.
٥. النظر في العلاقة بين العبادات الأخلاق، والتي لا يقوم المجتمع إلا بهما .
٦. الحاجة الملحة في كل عصر وهذا العصر على وجه الخصوص، الدعوة إلي الفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق.

أسباب اختيار الموضوع:

١. توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، وما احتواه من أخلاق وآداب.
٢. الرغبة في إبراز البعد الأخلاقي في العبادات، والذي يغيب عن كثير من المسلمين اليوم.
٣. أن الناس في حاجة إلى الوعي بمهارات التعامل والأخلاق، وبيان حكمها الشرعي.

أهداف البحث:

١. إبراز خصائص العبادات المرتبطة بالأخلاق .
٢. تبصير الناس بأحكام التعامل والعبادات والأخلاق.
٣. توضيح الارتباط الوثيق بين فقه العبادات وبين الأخلاق.
٤. بيان دور الأخلاق في جعل العبادات محققة للغايات التي خلق لأجلها الإنسان.
٥. النظر في الآثار المترتبة على تحقيق العبادة وأثرها على الفرد والمجتمع والأمة كلها.
٦. توجيه مفهوم العبادات وجهة عقدية بربطها بأصل العقيدة الإسلامية.
٧. التعرف على طرق اكتساب الأخلاق.

الدراسات السابقة:

١. " أثر العبادة في نمط التربية الإسلامية" ، ساجدة طه محمود، بحث منشور بمجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، العدد:٣، المجلد١، بغداد، العراق، ٢٠٠٩م.
٢. " علاقة الإيمان بالأخلاق في الدين الإسلامي سورة الأنعام نموذجاً، لغرس سوهيلة، بحث منشور، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، الجزائر،٢٠١٣م.
٣. " العلاقة بين العبادات والأخلاق في القرآن الكريم"، عماد قوزح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين ٢٠٢٠م.

٤. "طرق اكتساب الأخلاق، العبادات الأربع نموذجًا، أحمد بن منصور عسيري، بحث منشور في مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، المجلد الثاني والأربعون إصدار يونيو، القاهرة ٢٠٢٢م.

ولقد ركزت الدراسات السابقة في معظمها على الجوانب التربوية في مجال العبادات الأربع، أو ربط الإيمان بالأخلاق، أو طرق اكتساب الأخلاق من خلال ممارسة الأربع عبادات المفروضة، ومنهم من بين آيات القرآن الكريم الدالة على اكتساب الأخلاق من خلال القرآن الكريم وأيضا من خلال العبادات الأربع، وهذا دفعني ان أتكلم عن جانب الأخلاق في العبادات عامة، ومن جانب الممارسة مثل المعاملات في البيع والشراء ونظر المعثر، وأيضا عن الأخلاق في جانب الجنايات والعقوبات في الإسلام، وهذا كله جانب العبادات الأربع من صلاة وزكاة وصوم وحج، وكذلك لم نغفل جانب الأخلاق في الطهارة في حياة المسلم.

منهج البحث:

استدعت طبيعة البحث استخدام المنهج الاستقرائي، ثم المنهج الاستنباطي حيث قمت بقراءة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع البحث وفهمها، لتحديد المراد منها واستنباط واستخراج الأدلة التي تعمل على تدعيم البحث، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي اقتضاها البحث.

وجاءت خطة البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وتوصيات.

قسمت البحث إلي مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة وتوصيات على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: العبادات في الإسلام.

المبحث الثاني: الأخلاق الإسلامية.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي لأثر العبادات في الأخلاق الإسلامية.

الخاتمة والتوصيات.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

المبحث الأول: العبادات في الإسلام.

أولًا: تعريف العبادة لغة واصطلاحًا:

العبادة لغة: مصدر عبد يعبد عبادة، أي أطاع، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدل على معنيين: الأول: لين وذل. والثاني: شدة وغلظ[١].

ومن الأصل الأول: أخذ العبد، وهو المملوك.

قال الراغب الأصفهاني: العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له الإفضال، وهو الله تعالي[٢].

قال ابن منظور: "العبد الإنسان؛ حراً كان أو رقيقًا، يذهب بذلك أنه مربوب لباريه عز وجل، والعبد المملوك خلاف الحر"[٣].

وأصل العبودية: الذل والخضوع، ويقال: تعبد الله العبد بالطاعة، أي: استعبده.

العبادة اصطلاحًا:

وقد عرّفها الجرجاني فقال: هي الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود[٤].

كما عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة و الظاهرة"[٥].

فالعبادة من هذا التعريفات: عبارة عن الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب ، يقدر بها على النفع والضر؛ فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هذا الاعتقاد : فهو عبادة.

والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ كالتوحيد؛ فإنه عبادة في نفسه، والصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، والاستغاثة به، وغير ذلك مما رضيه وأحبه، فأمر به، وتعبد الناس به [٦].

---

[١] معجم مقاييس اللغة "، لابن فارس زكريا، ت: عبد السلام هارون، ٤/٢٠٥، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٢] المفردات في غريب القرآن ، للراغب، ت: صفوان عدنان،ص٥٤٢ ،ط١، دار القلم الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

[٣] لسان العرب ، لابن منظور، ٣/٢٧٠، ط٣، دار الصادر بيروت، ١٤١٤هـ.

[٤] التعريفات ، للجرجاني، ص١٥١، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.

[٥] العبودية، لابن تيمية، ص٣١، ط٧، ت: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

[٦] العبودية، لابن تيمية، ت: محمد زهير، ص٤٤.

قلت: هذا التعريف أحسن التعريفات كلها لفظًا ومعنى، وأشملها جمعًا ومنعًا، وأدقها طردًا وعكسًا، وأوضحها كلا وجزءً، وهو من كلام شيخ الإسلام .

وللعبادة أنواعٌ كثيرة: منها الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة.

ومن العبادات؛ أركان الإسلام وهي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور، حيث سأل النَبِيَّ صلي الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: « **الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ**»[1].

حيث قال عليه الصلاة والسلام: « **بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[2].

ثمَّ إنَّ العبادة لا بدَّ في قبولها من شرطين؛ **أحدهما:** إخلاص العمل لله، **والثاني:** تجريد المتابعة لرسول الله ـــــ صلي الله عليه وسلم ـــــــــ ، فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، فلا يُشرَكُ مع الله غيره، ولا يُصرفُ من أنواع العبادة شيء لغير الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ ، و لا بد من تجريد المتابعة للرسول ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــــ ، فلا يُعبد الله إلاَّ وفقاً لما جاء به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وهذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أنَّ محمداً رسول الله؛ لأنَّ مقتضى أشهد أن لا إله إلا الله إخلاص العمل لله وحده، فلا يُصرف شيء من أنواع العبادة لغيره، بل تكون العبادات كلُّها خالصةً لوجهه سبحانه وتعالى، ومقتضى أشهد أن محمداً رسول الله أن تكون العبادةُ وفقاً لِمَا جاء به الرسول الكريم ، فلا يُعبد الله بالبدع والمحدثات والمنكرات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، بل تكون العبادة وفقاً للقرآن، ولما جاء به الرسول الكريم ـــــــــ صلى الله عليه وسلم ـــــــ .

والعبادات: " توحد بين المسلمين وحدة عمل تتمثل في نمط العبادات التي يمارسونها جميعاً بأسلوب واحد، ووحدة وجهة وهدف، حيث يتجهون في صلاتهم إلي قبلة واحدة وفي حجهم إلي قبلة واحدة، وفي جميع أعمالهم إلي رب واحد، ووحدة ضمير وشعور وإحساس؛ فمشاعر المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها واحدة قد صنعها قرآن واحد وسيطر عليها رب واحد، وحركها من الأعماق إحساس واحد" [3].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ح١٠٢، ١/١٨.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظمى، ح١٢٢، ١/٣٤.

[3] هكذا نصوم ، توفيق محمد السبع، ص١٧، مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية ، القاهرة، أكتوبر ، ١٩٧١م .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

وكأنما لتنوع العبادات سر خفي آخر، فكل عبادة منها تبني جانباً من جوانب الشخصية الإنسانية، المادية منها والمعنوية، وذلك كما تتنوع " الفيتامينات" لتبني أركاناً متنوعة في جسم الإنسان، فالصلاة: تبنى جانب الحركة والنشاط، والزكاة: تبنى جانب عواطف الحب والإيثار، والصوم: يبنى ضمير الإنسان ويغذى روحه وأشواقه، والحج: يبنى النزعة الفطرية للاجتماع، ويعبر عن دوافع الأسفار والرحلات. وليس معنى هذا أن العبادات تقتصر على بناء هذه الأركان....كلا، فما يعلم تأويلها إلا الله...إنها هي قبل كل شيء مظهر عبودية لله، ثم تجيء الأهداف الأخرى معبرة عن جوانب حيوية في وجود الإنسان[١] .

ومن حكم الله في تنويع العبادة أن الطبع من شأنه الملل والسآمة، والفتور والكسل فلو جعلت العبادة لوناً واحداً، وعلى وتيرة واحدة لملها الطبع، وكلت عن القيام بها الجوارح، ولكن الله برحمته ولطفه، جعلها أنواعاً مختلفة من الصلاة، والذكر وتلاوة القرآن، والصدقة، والصيام والحج، والعمرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضاء الحاجات، والإصلاح بين الناس، حتي إذا مل الطبع منها نوعاً أخذ في آخر؛ فإذا فتر من الصلاة استرسل في ذكر الله، فإذا تعب من الذكر، استروح بتلاوة القرآن الكريم، فإذا قضى من ذلك نهمته، انبري يصلى ويسلم على النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم. فإذا ارتوي من ذلك كله، فإنه يستطيع أن يتفكر في خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات؛ فيعود من هذه الجولة وقد امتلأ قلبه إيماناً بربه، وتوكلًا عليه، ورغبة فيما عنده، وشوقًا إليه، وحباً له، وهذه بغية المؤمن من عبادته: أن يتقرب بها إلي الله ليحس بقربه من الله، وقرب الله منه، يقول سبحانه في الحديث القدسي: : « **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلآ ذَكَرْتُهُ فِي مَلآ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** »[٢]، ومن حكم الله سبحانه في هذا التنوع أن تتناسب مع أحوال الناس وهي مختلفة أشد الاختلاف، فمنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم القادر ومنهم العاجز ومنهم القوي ومنهم الضعيف[٣].

---

[١] القرآن الكريم رؤية تربوية ، سعيد إسماعيل على، ص٣٤٢، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله، ح٤٨٣٢، ١٦٧/١٣.

[٣] " العبادة في الإسلام وأثرها في الفرد والجماعة"، علي عبد اللطيف منصور، ص٩٢، ط ١، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المبحث الثاني: الأخلاق الإسلامية.

أولًا: تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

تعريف الأخلاق في اللغة:

الأخلاق جميع خُلُق، وقد عرف أهل اللغة الخلق بعدة تعاريف منها ما يلي:

الخُلُق بضم اللام وسكونها، وهو الدِّين والطبْع والسجية، وهي السجيَّة[١]، لأنّ صاحبَه قد قُدِّر عليه. وفلانٌ خَليق بكذا، وأَخْلِقْ به، أي ما أَخْلَقَهُ، أي هو ممَّن يقدَّر فيه ذلك، والخلق: " الطبيعة والخليقة والسليقة، وهم بمعني واحد[٢]، والخَلاقُ: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[٣].

ومما سبق يمكن تلخيص معان واضحة وبينة للأخلاق في اللغة:

١. الخلق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية .
٢. تدل الأخلاق على الصفات المكتسبة، التي أصبحت وكأنها خلقت مع طبيعته.
٣. الأخلاق لها جانبان: جانبًا نفسيًا باطنيًا، وجانبًا سلوكيًا ظاهريًا.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي:

هناك عدة تعريفات لهذا المصطلح، وهي:

١. عرفه الجاحظ بقوله:" الخلق: هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية، ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعًا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد"[٤].

٢. عرفه ابن مسكويه بقوله: " حال للنفس داعية لها إلي أفعالها، من غير فكر ، ولا روية . وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقًا" [٥].

---

[١] " لسان العرب" ، لابن منظور، ١٩٤/٤، ط٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.

[٢] " تهذيب اللغة" ، للأزهري، ت: محمد عوض، ٢٥/٧،ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

[٣] "معجم الصحاح "، للجوهري، ١٤٧١/٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

[٤] " تهذيب الأخلاق "، للجاحظ، ص١٢، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، القاهرة،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

[٥] " تهذيب الأخلاق "، لابن مسكويه، ص٥، ط٢، دار الكتب العربية، بيروت،١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

٣. وعرفه الماوردي: " الأخلاق: غرائز كامنة ، تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار"[١].

٤. ويقول الغزالي: "فالخُلُق عبارة عن هيئته في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة ، لا يقال خلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ . وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقه السخاء والحلم"[٢].

٥. و لقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنها عبارة عن: " مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها " الوحي" لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره، على نحو تحقيق الغاية من وجوده في العالم على أكمل وجه"[٣].

ويتبين من هذا التعريف أن الأخلاق في نظر الإسلام هي جمع شامل في منظور متكامل بين مصدرها وطبيعتها ومغزاها الاجتماعي وغايتها السامية.

وعليه فهناك هناك علاقة بين التعرفين وهي المطابقة؛ ذلك أن الطبع والسجية هي ذاتها صورة النفس وحقيقتها، فنقول طبعه السخاء، طبعه البخل...، لكن لا يمكن القول بأن طبعه الجمال، وطبعه الطول.

وللنظام الأخلاقي في الإسلام طابعان مميزان:

الأول: طابع إلهى من حيث أنه مراد الله ، إذ أنه يجب أن يتبع الإنسان في هذه الحياة رغبة الله في خلقه، ولذلك جاء الوحى بصورة هذا النظام .

الثاني: طابع إنساني من حيث إن هذا النظام عام في بعض نواحيه يتضمن المبادئ العامة، وللإنسان دوره في تحديد واجباته الخاصة والتعرف على طبيعة مظاهر السلوك الإنساني المعبرة عن القيم.

وقد عدَّ علماء الإسلام الأخلاق أحد الأصول التي جاءت بها الشريعة؛ فقد قال الشاطبي ـــ رحمه الله ـــ : تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون ضرورية.

---

[١] " تسهيل النظر وتعجيل الظفر"، للماوردي، ص٥، ت: محيي هلال السرحان، بيروت، ١٩٨٣م.

[٢] " إحياء علوم الدين " ، للغزالي، ٥٨/٣، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٦هـ .

[٣] " التربية الأخلاقية "، مقداد يالجن، ص٧٥، رسالة دكتوراه منشورة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

والثاني: أن تكون حاجية.

والثالث: أن تكون تحسينية. وتكلم ـــــ رحمه الله ـــــ عن معني الضرورية و الحاجية، ثم قال: " وأما التحسينات، فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق"[١].

ويقول الشنقيطي ـــــ رحمه الله ـــــ: " وقد أخذت قضية الأخلاق عامة وأخلاقه صلى الله عليه وسلم خاصة محل الصدارة من مباحث الباحثين وتقرير المرشدين فهي بالنسبة للعموم أساس قوام الأمم وعامل الحفاظ على بقائها كما قيل خاصة محل الصدارة من مباحث الباحثين وتقرير المرشدين فهي بالنسبة للعموم أساس قوام الأمم وعامل الحفاظ على بقائها[٢] كما قيل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا [٣]

في قوله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [٤]، أما السنة فقد ورد فيها الكثير من الأحاديث التي تربي المسلم تربية أخلاقية سليمة، ومن ذلك **مجموعة من الأحاديث الواردة في الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة ، والبعد عن الخلال السيئة:**

١. **عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ »**[٥].
٢. **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»**[٦].
٣. **قَالَ عن أبي شريح العدوي قال: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ قَالَ وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[٧]

---

[١] " الموافقات " ، للشاطبي، ت: مشهور بن حسن، ٢٢/٤، ط١، دار بن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٢] " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ، للشنقيطي، ٢٤٨/٨، ط١، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[٣] البيت لشاعر أحمد شوقي الملقب بأمير الشعراء، والبيت من ديوانه، وهو من البحر البسيط.

[٤] أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ك: الشهادات، باب: مكارم الأخلاق ومعاليها، ح٢٠٥٧١ ، ١٩١/١٠.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه، ك:البر والصلة والأدب، ب: فضل الرفق، ح: ٦٧٦٥، ٢٢/٨ .

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب ، ب: ما ينهي عن التحاسد والتدابر، ح: ٥٦٠٤، ٨/١٩.

[٧] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب ، ب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح: ٥٦٧٣، ٢٢٤٠/٥.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

٤. عن النعمان بن البشير رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

٥. عن عمران بن حصين عَنِ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: « الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»(٢).

٦. عن أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ »(٣) .

٧. عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤) .

٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »(٥) .

٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ »(٦).

١٠. عن أَبَي الدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب ، ب: رحمة الناس والبهائم، ح: ٥٦٦٥، ٥/٢٢٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان ، ب: شعب الإيمان، ح: ١٦٥، ١/٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والأدب، ب: تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ح: ٦٦٩٧، ٨/٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المظالم، ب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ح: ٢٣١٠، ٢/٨٦٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم ، ح: ٦٧٤٤، ٨/١٨.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الغيبة ، ح: ٦٧٥٨، ٨/٢١.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح: ٦٧٧٥، ٨/٢٤.

١١. **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »**[١].

١٢. **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ »**[٢].

١٣. **عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ »**[٣]، **وغير ذلك كثير.**

ويقول أبو الأعلى المودودي [٤]: النظام الأخلاقي في الإسلام يجعل الوحى المصدر الأوَّلى للمعرفة الأخلاقية ضمنَ الإسلام للمعايير الأخلاقية الثبات والخلود . هذه المعايير تفسح مجالاً معقولاً للتكيف والتجديد ، لكنها لا تدع فرصة للتحريفات والاختلافات الواسعة المدى ولا للنسبية ولا للتفلت الأخلاقي ، ولا للتنافر بين عناصر الأخلاق .

فالشريعة الإسلامية تهدف في العموم إلي تحقيق الأخلاق في أهلها؛ إذ إنه عندما تأتي جميع الأمة نفس العبادة لاشك أن ذلك ثمرته أن تكون صفاتهم متقاربة في الحسن والسيرة؛ فوحدة الوجهة تؤول إلي وحدة الطوية . وعليه فكلما التزم العباد أمر ربهم أدي ذلك إلي تشابه أخلاقهم وتقارب صفاتهم ومن ثم توادهم وائتلافهم.

ومن أهم الوسائل لكسب الأخلاق:

١. محاسبة النفس :

قال ابن المقفع : "ليحسن تعاهدك نفسك بما تكون به للخير أهلاً ، فإنك إن فعلت ذلك ، آتاك الخير يطلبك ، كما يطلب المال السيل إلى الحدورة ــ أي المكان المنحدر"[٥]. فعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساوئها في الأخلاق ، ويحاسب نفسه عليها فكلما أصلح شيئاً محاه من نفسه.

يقول ابن حزم: " فمنها ــ أي عيوبه ــ كلف في الرّضى ، وإفراط في الغضب فلم أزل أداوى ذلك حتى وقفت عند ترك إظهار الغضب جملة بالكلام والفعل والتخبط وامتنعت مما لا يحل من الانتصار وتحملت كم ذلك ثقلاً شديداً وصبرت على مضض مؤلم ، كان ربما أمرضني وأعجزني ذلك في الرضى وكأنى سامحت نفسى؛ لأنها تمثلت أن ترك ذلك لؤم[٦].

٢. تكلف الأخلاق الحسنة :

فيتكلف الإنسان الأخلاق الحسنة التي يريد التخلق بها كما لو أراد أن يكون حليماً فإنه يأتي به تكلفاً مراراً حتى تألفه نفسه وتعتاده ويصير لها كالطبع وكالسجية ويؤيده ما قاله الرسول – صلى

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: فضل من يملك نفسه عن الغضب، ح: ٦٨٠٩، ٨/٣٠.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: فضل إزالة الأذى عن الطريق، ح: ٦٨٣٧، ٨/٣٤.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ح: ٦٨٥٧، ٨/٣٧.

[٤] " منهج الحياة الإسلامية"، لأبي الأعلى المودودي، ت: أحمد عبد الرحمن، ص٣٨، دار التوزيع للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

[٥] " الأدب الصغير والكبير " لابن المقفع، شرح سعيد محمود عقيل، ص١٠، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.

[٦] " الأخلاق والسير"، لابن حزم ، ت: عادل أبو المعاطي، ص٨٣، ط١، دار المشرق العربي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الله عليه وسلم – : « إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه »[١].

يقول الغزالي في الإحياء : الأخلاق على ضربين فمنها ما هو غريزي جبلي ، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة والرياضة والمجاهدة ، ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات "[٢].

وهذا المسلك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى يؤتى أثره . وهذا الدوام يستلزم الصبر فعلى الإنسان الذى يريد التخلق بنوع من الأخلاق الحسنة أن يتجمل بالصبر فإذا صبر وداوم انقادت نفسه وألفت الفعل[٣]. والرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يتبع الأسلوب العملي: تعليماً وتدريباً وتوجيهاً ، تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو إلى خلق فاضل ، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذى يحقق وجود ذلك الإنسان المسلم .

فالعبرة في العلم التطبيق والعمل لا مجرد المعرفة ولذلك كان قول الرسول – صلى الله عليه وسلم– : « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِه مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[٤]. والرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يغتنم فرصة التصرفات العملية التي تقتضى توجيهاً تربوياً وعملياً ليأخذ المسلمون منه درساً إيجابياً . فعن أبى ذر – رضي الله عنه – قال : كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية ، فنلت منها ــ يعنى بالقول ــ فذكرني إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : « **أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّه؟ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي: هَذِه مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِه فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**»[٥].

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي لأثر العبادات في الأخلاق الإسلامية:

الأخلاق هي تلك المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، وهي تمثل الصورة الباطنية للإنسان، كما إن الخلق يمثل الصورة الظاهرة، وكلاهما يكون حسناً وقبيحاً، والأصل في الخلق

---

[١] " جامع بيان العلم وفضله"، للقرطبي، ت: أبو عبد الرحمن فواز، ٢٧٠/١، ط١، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

[٢] "إحياء علوم الدين" ، للغزالي ، ٥٥/٣، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٦هـ .

[٣] " أصول الدعوة"، عبد الكريم زيدان،١٠٣/١ ط٩، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: العلم، باب: من علم، ح٧٧، ١٤١/١.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، باب: ما ينهي من السباب واللعن، ح٥٥٩٠، ٤٨١/١٨.

أن يكون اختيارياً يكسب بالتخليق والجهد والمثابرة على التزام جانب التسامي، ولذلك يمدح به الإنسان أو يذم[١].

والإسلام حريص على بناء المسلم بناء يقوم على الصلاح، والأخلاق يحب المسلم فيه للآخرين ما يحب لنفسه مسلماً متأسياً بنبيه – صلي الله عليه وسلم- الذي وصفه ربه عزو وجل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ ، بل لقد حدد الهدف من بعثته، فقال: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [٢].

والأخلاق تعم كل تصرفات الإنسان وكل أحاسيسه ومشاعره وتفكيره، ولا يوجد في الإسلام عمل واحد يمكن أن يخرج من دائرة الأخلاق، فالمسلم محكوم بالأخلاق في القول والفعل، في البيت والشارع، في المصنع والمتجر، ، وفي السياسة والمعاملات، في بلدك وفي البلدان الأخرى، فهي تنبعث من عقيدة المسلم ومبادئه ، فالفضائل الخلقية والسلوكية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة[٣].

لقد كان عدد الآيات التي تتحدث عن الأخلاق في القرآن الكريم قد بلغ أربعة وخمسمائة وألف آية، وهي أكثر من الآيات التي تتحدث عن الأحكام، مما يبين أهمية الأخلاق في الإسلام ومن الآثار المترتبة على العبادات فمنها؛ انشراحُ الصدر، وراحةُ البال، وسَعةُ الرزق، وسلامةُ الإنسان وارتياحُه واطمئنانُه.

وقد جاء في القرآن آياتٌ كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدلّ على تلك الآثار، وعلى أنَّ تقوى الله عز وجل والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، كما تم ذكرهم فيما سبق.

والعبادة ما هي إلا نوع من الأخلاق، لأنها كما يقول الصلابي من باب الوفاء لله ، والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل، والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق عند الفضلاء من الناس[٤].

قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[٥] فإنَّ هذه الآيةَ الكريمة اشتملت على ذِكر العبادة، وعلى ذكر الأثر المترتب عليها في حياة المسلم، وهي أنَّ من اتقى الله عز وجل وآمن به فإنَّ الله تعالى يُثيبُه ويعطيه في الحياة الدنيا من الرزق،

---

[١] " الوسطية في القرآن الكريم"، علي محمد الصلابي، ص٤٠٥، ط١٠، دار المعرفة، بيروت □لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

[٢] أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ك: الشهادات، باب: مكارم الأخلاق ومعاليها، ح٢٠٥٧١ ، ١٠/١٩١.

[٣] التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفي محمد الطحان، ص٩٢، ط١٠، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

[٤] الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ص٤٢٤.

[٥] سورة الأعراف: الآية٩٦ .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

ويفتح عليه من بركات السماء والأرض وذلك بإنزال الأمطار، وإخراج النبات والكنوز من الأرض.

والإسلام يُعد الأخلاق الفاضلة من شعب الإيمان أو من ثماره اليانعة فكما يتمثل الإيمان في سلامة العقيدة، وإخلاص العبادة: يتمثل كذلك في استقامة الخلق، " إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ولا يفترق بعضهما عن البعض، فهما وحدة لا تتجزأ.. إن الدين كالروح للأخلاق، والأخلاق كالجو للروح، و بعبارة أخرى الدين يغذي الأخلاق وينميها وينعشها، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه"[١].

المطلب الأول: العبادات والأخلاق:

والقرآن الكريم والسنة النبوية حثا على الأخلاق الحميدة وذم الرذيلة فقال تعالي: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٢]، فالقرآن الكريم هنا ربط بين الأخلاق من جهة والعقيدة والعبادة من جهة أخرى.

ولقد ربط القرآن الكريم بين الأخلاق والعبادات فجعلها إحدى الثمار الدانية من وراء التكاليف الشرعية وليست بمعزل عنها، قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[٣] كما ربط النبي – صلى الله عليه وسلم – عملياً بين العبادة والأخلاق فقد ورد في السنن أنه – صلى الله عليه وسلم – كان من دعائه عند استفتاح الصلاة: « وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[٤] .

المسألة الأولي: أثر الوضوء في خلق المسلم:

جعل الله عز وجل الطهارة شطراً أساسياً في الدين وهي تشمل الطهارة الباطنية القلبية، كما تضم الطهارة الظاهرية أي نظافة البدن والملبس والمسكن قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «

---

[١] الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ص٤٢٥.

[٢] سورة المؤمنون: الآية١ :١١.

[٣] سورة العنكبوت: الآية٤٥ .

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح٤،١٢٩٠/١٦٩.

الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ» [1] ، فإذا كانت الصلاة ركن من أركان الإسلام وعماد الدين فإن من شروط صحتها أن يكون المرء على وضوء.

فالوضوء عبادة يستعد بها المؤمن للوقوف بين يدي الله في الصلاة، وكذلك الوضوء يطهر الجسم من الذنوب والخطايا، ولقد ورد الكثير من نصوص من القرآن والسنة في بيان أفضلية الوضوء في نظافة البدن، وظهور المسلم بصورة حسنة في الدنيا والآخرة، وكذلك الوضوء يمثل حجر الزاوية في بناء الطب الوقائي الإسلامي لحماية المجتمع والفرد من أخطار التلوث، والتخلص بصفة عامة من الجراثيم، واثبت الطب الحديث ان الوضوء قاتل للجراثيم، ومقوي لجهاز المناعة ومنشط للحركة الدموية.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: « **أَسْبِغْ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»** [2] ، فالاستنشاق يخلص الأنف من المواد المخاطية المتراكمة والغبار والجراثيم، وأكدت الدراسات الطبية أن الاستنشاق ثلاث مرات في كل وضوء يقضي على أحد عشر نوعاً من الميكروبات التي توجد في الأنف وتتسبب في الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي والالتهابات الرئوية والحساسية، وكذلك التدليك في الوضوء يعمل على إزالة الجراثيم وتنشيط الدورة الدموية وخصوصاً في الاطراف التي تبعد عن مركز ضخ الدم[3].

ولكل ما سبق فإن الوضوء يريح النفس المتوترة ويهدئ ضربات القلب ويطفئ نار الغضب قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: « **إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»** [4]، ولذلك منح الله سبحانه وتعالي للوضوء أهمية كبيرة؛ فأسراره الثمينة كثيرة تترجم حكمة الله عز وجل ورحمته بعباده، وزيادة هذه الفوائد الصحية والنفسية جعل الله عز وجل الوضوء باب من أبواب الطهارة الروحية ففي الحديث الشريف أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: « **مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ غَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا مَشَتْ إِلَيْهِ رِجْلُهُ وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ »**[5].

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة ، باب: فضل الوضوء، ح٥٥٦، ١٤٠/١.

[2]) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة ، باب: الاستنثار، ح١٢٣، ١٧٩/١.

[3]) موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، نادية طيارة، ص٢٠١، ط٢، مكتبة أبو ظبي، الإمارات، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

[4]) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب ، باب: ما يقال عند الغضب، ح٤١٥٢، ٤٠٣/١٢.

[5]) أخرجه أحمد في مسنده، ح٢٢٩٣٢، ٣٨٢/٤٨، والحديث ضعيف.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

وتحدث د. كيالي[١] عن أهمية الوضوء والصلاة للإنسان فقال إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الفرد أو الفذ بسبع وعشرين درجة" مبيناً سبب تفضيل صلاة الجماعة منوها بأن رص الصفوف في الصلاة وفي القتال تزيد الطاقة الخيرة، والصلاة على الطريقة الإسلامية مرتبطة بالتبادلات الضوئية لشمس: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾[٢].

وأضاف أن الوضوء بجانب أنه نظافة دائمة ومستمرة لمدة خمس مرات في اليوم والليلة، إلا أن له فوائد عظيمة من خلال إزالة الشحنات الكهربية الضارة التي تنزل على الأرض وتصيب الإنسان بآلام المفاصل والروماتيزم، ولافتا إلي أن عدم وجود الماء استبدله الله بالتيمم، وقال إن للماء طاقة عجيبة، ولكن الإنسان أفقده هذه الطاقة عن طريق توصيله للبيوت عبر الأنابيب أو شربه من خلال الأواني البلاستيكية، ولكن أقرب مادة تعيد للماء حيويته وطاقته هي الفخار[٣].

فهذا بعض من فضائل الوضوء وهي كلها تصب في صميم المحافظة على نظافة الإنسان المسلم ومن ثم تؤثر على خلقه.

المسألة الثانية: أثر الصلاة في خلق المسلم:

للصلاة حكم نفسية وأخرى خلقية واجتماعية، ففيما يتعلق بالجانب النفسي، فإن الصلاة مناجاة تشعر المرء بقرب الله ، فتتيقظ قواه الروحية ، وتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، كما أن الصلاة بهذه المثابة تنتزع النفس من ماديات الحياة وآلامها ، فيتوجه الإنسان إلى الله خاضعا لكبريائه، فتصفو النفس وتخلد إلى السكينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبلال رضي الله عنه: " أقم « الصلاة أرحنا بها » . ويقول « **حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[٤]، وفيما يتعلق بالحكم الخلقية للصلاة ، فإن الصلاة وسيلة التطهر . قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** ﴾[٥] . والصلاة مبعث الضمير الحي, والصلاة تحول دون الهلع والجزع . قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[٦]. ومن الحكم الاجتماعية للصلاة ، أنها تخلق من

---

[١] علي منصور كيالي، عالم فيزيائي سوري وباحث إسلامي، في كلية حلب في سوريا ومتخصص في الإعجاز العلمي.

[٢] سورة الأسراء: الآية٧٨ .

[٣] روائع الأعجاز في الوضوء والصلاة والصوم، أمل ياسين، ص٥٠، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

[٤] أخرجه النسائي في سننه، ك: عشرة النساء، باب: حب النساء، ح٣٨٧٩، ٢٨٩/١٢.

[٥] سورة الأعلى: الآية ١٤، ١٥.

[٦] سورة المعارج: الآية١٩- ٢١ .

المسلم خلية حية تنتج للمجتمع، وهي تهيئ سبيل الاجتماع بين المصلين، فتقوي الروابط الاجتماعية ، وتنمو المساواة الحقيقية، وتنتفي فوارق اللون والثراء والدم بين الناس ، طالما كان المؤمن مقبلاً على صلاته بوعي ويقظة وخشوع قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، كما أيضا توجد علاقة وطيدة بين ترك الصلاة وإتباع المعاصي والشهوات وذلك مصداقاً لقوله تعالي:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١]، فالصلاة هي الفيصل ما بين إتباع طريق الحق أو طريق الباطل، فالصلاة حقًا هي عماد الدين.

كذلك تتجلى الحكمة في ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، في أن الأسباب التي كانت تستلزم إرسال الأنبياء قد زالت بمجيء نبي الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم، فالقرآن الكريم محفوظ بحول الله وقدرته ولن يمسه تحريف أو نسيان أو تغيير مثلما حدث للكتب السابقة. والهداية الإسلامية باقية حية مصونة وستبقى إلى أبد الدهر، ولم تتوقف بسبب النسيان والتحريف الذي حدث للأديان السابقة، كذلك فإن الله تعالى قد أكمل دينه بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم، وليس بعد الكمال المطلق من كمال آخر، وليس الكامل في حاجة إلى ما يؤيده أو يعضده، لذا" كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة للنبوات، لأنه بعث للناس كافة إلى أن تقوم الساعة . . . . وإذا كانت رسالته عامة لكل الناس، فلا بد أن تكون شريعته كاملة شاملة لمصالح البشر، لا يحتاج معها إلي شريعة أخرى وبعثة نبي آخر" [٢] كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٣].

لذا كانت الصلاة شكرا لله واعترافاً بفضله وانقياداً لحكمه واستسلاماً لإرادته وتوحيداً لألوهيته وربوبيته وتصديقا لوعده وإيماناً بقدرته . . . تلكم هي حكمة الصلاة العظمى[٤].

وهكذا تتجلى للمؤمن بعض مظاهر حكمة الصلاة، في شتى المجالات، لا سيما ما تعلق منها بنفس الإنسان وأخلاق العبد، وضمير الجماعة، ولكن حكم الصلاة لا تقف عند حد الهدي النفسي والخلقي والاجتماعي، وإنما تتسع لتشمل كل حكم الدين، لأنها كما يقول الإمام أحمد رحمه الله أول فريضة فرضت ، وهي آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم أمته ، وآخر ما يذهب من الإسلام . وهي أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة وهي عمود الإسلام. وليس بعد ذهابها دين ولا إسلام. لذا فإنها تحتاج إلى مطلق الخشوع. وهو أعظم ما يكون في صلاة الجماعة التي من

---

[١] سورة مريم: الآية ٥٩.

[٢] الإرشاد إلي صحيح الاعتقاد، صالح بن فوزان، ص١٩٠، الرياض ، ١٤١٠هـ.

[٣] سورة المائدة: الآية٣ .

[٤] " الصلاة "، فهد عبد الرحمن الرومي، ص٥٣ .

فوائدها التعارف والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر، وإظهار شعار الله بين عباده، والدعوة إليه سبحانه بالقول والعمل وبذا تتجلى حكمة الصلاة في اطمئنان الإنسان إلى أنه أدى أمانة الله بصدق وإخلاص، اعترافًا بحق الخلاق العليم، وتأكيدًا لشكر المنعم الكريم، وإفصاحًا عما ينطوي عليه القلب من محبة لله وتقدير[١].

أول ما نلاحظ اقتران الصلاة بلفظ (أقيموا): للإشعار بأدائها بإخلاص لله وحده، مع صدق التوجه إليه تعالى، والخشوع لعظمته وجلاله، والاستكانة لعز سلطانه، ورعاية ما اقترنت به من أخلاق عليا ومبادئ مثلى حتى ترتقي بها إلى القبول.

١. اقترنت بالقول الحسن فقال تعالي: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[٢]، فينبغي أن يكون المصلي متعاهدًا نفسه لتربيتها على القول الحسن، وليس القول الحسن خاصًا بالمؤمنين فقط، بل لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم. فقد ذكر النيسابوري نقلًا عن أهل التحقيق[٣]: أنه على العموم وذلك أنّ كلام الناس مع الناس في الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، أمّا في الأمور الدنيوية فمن المعلوم: أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه، فثبت أنّ جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول.
٢. الصلاة مقترنة بالإعراض عن اللغو: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون* الذين هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* والذين هُمْ عَنِ اللغو مُّعْرِضُونَ * والذين هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٤]، تؤثر الصلاة تأثيرًا إيجابيًا فتجعل صاحبها يعي ما يتكلم به، بحيث يكون عقله قبل لسانه، فلا يلغو ولا يفحش، وإذا سمعه يعرض عنه.
٣. الصلاة مقترنة بتطهير النفس من براثن الفواحش والمنكر﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[٥]، فالصلاة أخذت كل أركان الإسلام مجتمعة؛ بحيث فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وفيها تضحية ببعض الوقت؛ وفيها صوم عن كل ما تلتزم به وأنت صائم، وأنت تتوجه خلالها إلي قبلة بيت الله الحرام؛ ولذلك فهي

---

[١] " آداب المشي إلي الصلاة "، محمد عبد الوهاب، ص٨١، .

[٢] سورة البقرة: الآية٨٣ .

[٣] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، للنيسابوري ، ٣٢٥/١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٤] سورة المؤمنون: الآية ١: ٤.

[٥] سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن التطبيق العملي لهذه الآية ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه فذكر للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال – صلى الله عليه وسلم – « إنّ الصلاة ستنهاه» فلم يلبث أن تاب، وصلحت حاله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –« ألم أقل لكم»[١].

فالصلاة باب مفتوح لمن عزم على اجتناب الفحشاء، وطريق ذلك: أن يحضر قلبه، ويفرغه عما سوى ربه، ويقبل بفهمه لما يتلو، وكم من معان لطيفة يدركها المصلي أثناء صلاته تمنعه من الفحشاء والمنكر، ثم العزيمة والمجاهدة لحسن الخُلق عملاً وسلوكًا، فالصلاةُ غذاء القلوب وزاد الأرواح، فيها أنس المسلم، تجلو صدأ القلوب بأنوارها وتغير الوجوه بأسرارها وآثارها.

المسألة الثالثة: أثر الزكاة في خلق المسلم:

ومن العبادات العظيمة الأثر في نفس الإنسان وفي حياته الزكاة؛ فهي الركن المالي والاجتماعي في الإسلام ، ولذا فالزكاة شرعت لحكم عظيمة، وأسرار كثيرة، ومصالح جمة، تعود على الأفراد والمجتمعات بالخير العظيم، يقول تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[٢].

فالزكاة فريضة من فرائض الإسلام وركن من أركان الدين؛ لتحقيق حكم كثيرة نفسية وخلقية واجتماعية، ففيما يتعلق بالحكم النفسية للزكاة، فإنها تتجلى من كون الزكاة بذلًا وجوداً، ولذا فهي تريح المعطي، وتسر المتلقي وقد « سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أفضل الأعمال فقال: إدخال السرور على المؤمن. قيل: وما إدخال السرور على المؤمن؟ قال: سد جوعته، وفك كربته، وقضاء دينه». وفيما يتعلق بأثر الزكاة في الأخلاق، فإنها تخلص الإنسان من البخل، وتنقذه من الشح، وتجعله يغالب النفس فيتطهر ويتزكى. وبالزكاة تنقاد النفس لحكم العقل وتخضع لأوامر الله تعالى. ومن أسرار الزكاة الاجتماعية ، أنها وسيلة المحافظة على العجزة والضعفاء، واجتثاث العداوة والبغضاء من النفوس، عن طريق البذل من الأمانة التي في يد الأغنياء، فتقوى الصلات الاجتماعية، وينمو التعاون، ويحدث التوازن بين المسلمين في المجتمع؛ امتثالًا لأمره تعالى في قوله جل شأنه: ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾[٣].

الأثر الأخلاقي في آيات الزكاة:

---

[١] أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان، ١٧٤/٣ رقم٣٢٦١.

[٢] سورة التوبة: الآية١٠٣ .

[٣] سورة الحديد: الآية ٧ .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

١. طيب المخرج فالزكاة تربي المتصدق على خلق راقٍ بأن ينتقي من ماله أجوده وأحبه وأجله وأطيبه، قال تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[١].

٢. تربي الزكاة الإنسان على تجرد الصدقة من المنّ والأذى قال تعالى:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى والله غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[٢]، والأصل أن يرى المتصدقُ الفقيرَ محسناً إليه، بقبول حق الله عز وجل منه، الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبلها لبقي مرتهناً به، وأن يستصغر الصدقة، وقد قيل: لا يتم المعروف إلا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره.

فوائد الزكاة وحكمها:

مما لاشك فيه أن للزكاة فوائد عظيمة، وحكم كثيرة، منها ما يأتي:

١. إتمام إسلام العبد؛ لأنها أحد أركان الإسلام، فإذا أدي العبد الزكاة المفروضة تم إسلامه وكمل، وهذا غاية عظيمة لكل مسلم، فكل مسلم مؤمن يسعى لإكمال دينه.

٢. حصول طاعة الله بتنفيذ أمره: رجاء ثوابه وخشية عذابه، وابتغاء رضوانه.

٣. تثبيت أواصر المحبة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

٤. تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلُق الشح والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلي هذا المعني في قول الله تعالي: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[٣].

٥. تعويد المسلم على صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجات؛ والرحمة للفقراء.

٦. حفظ النفس عن الشح ، فقال تعالي: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[٤].

٧. استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله تعالي، كما قال عز وجل: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[٥]؛ ولقول الله تعالي في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: « قَالَ اللَّهُ أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[٦].

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»[٧].

---

[١] سورة البقرة: الآية ١٦٧ .

[٢] سورة البقرة: الآية ٢٦٣ .

[٣] سورة التوبة: الآية ١٠٣ .

[٤] سورة الحشر: الآية ٩ .

[٥] سورة سبأ: الآية٣٩ .

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، ح ٤٩٣٣، ٤٢٨/١٦.

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة، باب: استحباب العفو والتواضع، ح ٤٦٨٩، ٤٧٤/١٢ .

وعن أبي هريرة قال صلي الله عليه وسلم: « **مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[١].

٨. برهان على صدق مخرجها؛ الحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه وفيه: « **الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[٢].

٩. تشرح الصدر، فالمسلم إذا أحسن إلي الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، وأنواع الإحسان انشرح صدره؛ فالكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي لا يحسن أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأكثرهم هماً وغماً، ولكن لا بد من العطاء بطيب نفس، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده[٣].

١٠. **تجعل المجتمع المسلم كالأسرة الواحدة،** يرحم القوي القادر الضعيف العاجز، والغني يحسن إلي المعسر، فيشعر صاحب المال بوجوب الإحسان عليه كما أحسن الله إليه، قال الله تعالي: ﴿ **وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[٤]. فتصبح الأمة الإسلامية كأنها عائلة واحدة.

١١. **تطفئ حرارة ثورة الفقراء؛ لأن الفقير قد يغضب،** لما يري من تنعم الأغنياء، فإذا جاد الأغنياء على الفقراء كسروا ثورتهم وهدؤوا غضبهم .

١٢. تمنع الجرائم المالية مثل: السرقات، والنهب، وما أشبه ذلك؛ لاستغناء الفقراء عن هذه الجرائم بإعطائهم الزكاة، أو بالصدقة والإحسان إليهم.

١٣. **النجاة من حرِّ يوم القيامة؛** لحديث أبو هريرة، عن النبي صلي الله عليه وسلم، قال: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[٥].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الزكاة، باب: قوله تعالي فأما من أعطي وأتقي، ح ١٣٥١، ٢٧٠/٥ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، باب: فضل الوضوء، ح٣٢٨، ٣/٢ .

[٣] زاد المعاد، في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، ٢٥/٢، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، [د.ت].

[٤] سورة القصص: الآية رقم ٧٧ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الزكاة، باب: الصدقة باليمين، ح ١٣٣٤، ٢٤٢/٥ .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

١٤. تعين المسلم على معرفة حدود الله والفقه في دينه تعالي؛ لأن المسلم لا يؤدي زكاته إلا بعد أن يعرف أحكامها، وأموالها، وأنصابها، ومستحقها، وإثم من منعها، وفضل من أداها، وغير ذلك مما تدعو الحاجة إليه.

ترى الباحثة: أن الزكاة تحرر أخذها من ذل الحاجة، سواء كانت مادية أو معنوية، أو فكرية، وهي كذلك تطهر آخذها من داء الحسد والكره والبغضاء، ولذلك فرضها الله وقرنها بالصلاة حتي لا تنقطع أواصر الأخوة، وحتي لا تذهب عواطف المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، ولا تتمزق وحدته.

فالزكاة طيبةٍ لأنفسنا، فقد أعطانا الله الكثير، وأغدق علينا المال الوفير، وطلب منا أقل القليل، ولو أننا قمنا بهذه الفريضة حق القيام، وصرفوا الزكاة في مصارفها الشرعية، لن نجد على الأرض من يتسول لفاقة، ومن يلح في مسألة لحاجة، واختفت مظاهر الإجرام والاختلاس والسرقة.

المسألة الرابعة: أثر الصيام في خلق المسلم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]. معنى ذلك أن الصيام كفرض يهيئ النفوس للخير والبر ، ويورث خشية الله ، ويوقظ الضمائر ، ويقوي الإرادة ، ويعود المسلم الصبر والاحتمال " وبقدر ما تقوى الإرادة ، يضعف سلطان العادة " [٢] حيث يتم هجر كثير من العادات السيئة، هذا من الناحية النفسية، وأما من الناحية الخلقية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . . الصيام جنة . . . » رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري ومسلم في الصوم أي أنه يقي المسلم من المنكرات والشرور، ويأخذ النفس بالفضائل، فتزكو وتطهر، فلا تقول زوراً، ولا تعمل به. قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [٣].

ومن حكم الصيام الاجتماعية، أنه مظهر فريد من مظاهر المساواة المطلقة بين الأغنياء والفقراء في الحرمان، كما أنه يفجر ينابيع الرحمة والعطف في النفوس والقلوب، فيولد الفرد المهذب، والمجتمع الفاضل، الذي يسمو بالأمة ويرفعها في أعلى المراتب، ويرقي بها إنسانياً.

وتتجلى حكمة الصوم كذلك في أنه مجال لإظهار المسلم إرادته العازمة على الامتثال لأحكام الله، والجازمة على عدم مخالفة شرع ارتضاه، والمصرة على أن تتصل بالله اتصال طاعة وانقياد،

---

[١] سورة البقرة: الآية ١٨٣.

[٢] " إحياء علوم الدين "، للغزالي، ص٣٩، باب: تهذيب موعظة المؤمنين.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصوم، باب: من لم يدع قول الزور، ح١٧٧٠، ٤٧٢/٦.

وبعد عن كافة ضرورات الجسد طمعا في حسنات الله [1]، وإيثارا لما عنده، ورغبة في تحصيل فوائد الصوم المعنوية والحسية التي قد تظهر وقد لا تظهر، فإن ظهرت كان الاطمئنان لها أداة للاندفاع مع تيار الإيمان، وإن خفيت ظلت النفس واثقة من أن الديان قد أعد للإنسان ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فتتهيأ النفس به للكمال الإيمانى، وتستجيب معه للهدى الإلهي.

إن من الغايات الكبرى للصيام بلوغ درجة التقوى " فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي ، هذه الفريضة طاعة لله وإيثاراً لرضاه . ولقد جعل الله – سبحانه – في الصيام وسيلة لتحقيقها، قال البغوي في تفسيره: " الصيام وصلة إلى التقوى" ، وقال ابن سعدي: " فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه".[2].

المسألة الخامسة: أثر الحج في خلق المسلم:

والحج عبادة تنطوي على حكم وأسرار نفسيه وخلقية واجتماعية: من الناحية النفسية، فإن الحج يحيى في الأنفس ذكريات أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم. ولعل أعظم هذه الذكريات رفع القواعد وانتصار الدعوة الإسلامية، ولقد جاشت نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم وانفعلت بذلك، فبكى وهو يقف أمام الكعبة وقال « يا عمر: هنا تسكب العبرات ». ومن الناحية الخلقية : فإن الحج يدرب المسلم على مجاهدة النفس ، والوصول إلى أسمى المراتب الروحية حيث تنطلق الحناجر هاتفة باسم الله مثنية عليه ، بينما المرء في ملابس الإحرام التي تخلو من كل زينة وتتجرد من كل أسباب الخيلاء ، فيعيش الإنسان جو العفاف حيث ، لا رفث ولا فسوق ولا جدال . قال تعالى:﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[3]. ومن حكم الحج الاجتماعية، أنه تجمع عظيم الأمة الإسلامية، يلتقون ليشهدوا منافع روحية واقتصادية وسياسية لهم، وفيه تتوحد الغايات، ويتم تبادل الثقافات، ووضع أسس الالتقاء الدائم من أجل تحقيق منافع الأمة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[4].

---

[1] روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طباره، ص٢٥٦، ط٢٠، ١٩٨٠م.

[2] ينظر: تفسير البغوي،١٩٦/١، وتفسير السعدي، ص١٤٨.

[3] سورة البقرة: الآية ١٩٧.

[4] سورة الحج: الآية٢٧، ٢٨ .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

والحج بحكمه تلك هو حق لله وحده، به يعلن المسلم عن امتثاله لشرع الله تعالى، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " ولله تعالى حق لا يشركه فيه مخلوق: كالعبادات والإخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة والزكاة والصيام والصدقة" [١] ولذا فإن من يخلص في أداء حق الله يكون متقيًا إياه "والذين يتقون الله ويقومون بما أمرهم به من عبادته وطاعته يعزهم وينصرهم "[٢].

فالحج إذا به تتحقق التقوي كما تحققها سائر العبادات، ذلك لأن حج بيت الله الحرام يبدأ بالإحرام ، وذلك هو توديع للحياة السابقة وقلب لصفحاتها إلي ناحية أخري، تحوّل من الضلال إلي الهدي، ومن المعصية إلي الطاعة. فالحجاج يهجرون بلدانهم وهم يغادرون في هذه المعاصي والمفاسد والعادات السيئة فهم ينتقلون بأرواحهم قبل أن ينتقلوا بأبدانهم[٣].

والحج يعوّد الإنسان على الصبر وتحمل المتاعب، ويعلم الانضباط والتزام الأوامر، فيستعذب الألم في سبيل إرضاء الله تعالي، ويدفع إلي التضحية والإيثار.

وبهذا يتأكد علاقة الأخلاق بالعبادات، وأن حقيقة التدين تخلق بتعاليم الدين إلي أن تكون عادة وسجية تصلحه ويتعدى نفعها لمن حوله، بمعني أن الشريعة جعلت من التخلق بها ميزان تحقيقها فيكون قدر الإيمان بقدر التزام التكاليف كمًّا وكيفًا.

ولذلك فالأخلاق التي تنمَّيها العبادات في النفس ليس المقصود منها أن تكون أخلاقًا أنانية ذاتية للشخص نفسه فحسب، ولكن المقصود منه أن تكون أخلاقًا اجتماعية يتعامل بها مع الناس؛ ولهذا كان المقصود من العبادات والغاية منها: هو تربية الأخلاق في النفس وتنميتها؛ لكي تحسن المعاملات والعقود التي تجري مع الناس تبعًا ولسنن الله في الكون.

إن العبادات ترتبط بالأخلاق ارتباطًا وثيقًا، فالمتأمل في التكاليف الشرعية يجد أنها وسائل لتحقيق غايات، وكذلك جميع الأوامر الإلهية ما هي إلا أخلاقيات كريمة، إذا سادت المجتمع صلح، وصلح أفراده. وكذلك جميع النواهي: ما هي إلا نهي عن سوء خلق الذي يفسد ما بين الناس، وبذلك تضيع الحقوق والقيم، فتنهار الأمة من داخلها.

وعدم اقتصار البعد الأخلاقي على مضمون العبادة بل تجاوزها إلي التوقيت، فالحكمة من ربط العبادة بوقت معين، فالنفس الإنسانية تميل إلي التسويف، وترغب دائما في تأجيل أداء

---

[١] "مجمع الفتاوي "، ابن تيمية، ١٢/ ٢٨٠، ت: أنور الباز وعامر الجزار، ط٣، دار الوفاء ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

[٢] "المرجع نفسه،٣١٢/٢٦.

[٣] فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ص١٩٤، ط٢٠، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الحقوق، لذلك أمر الله تعالي بطاعته لأن في ذلك مصلحة لها، لذلك لقد اقترنت العبادات بالتوقيت وذلك خشية من التهاون والتسويف.

المطلب الثاني: المعاملات والأخلاق:

جانب المعاملات والأخلاق:

المعاملات تطلق على الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا باعتبار بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها، والقرآن الكريم قد ربّى أتباعه على حسن المعاملة مع الآخرين، فيفي بما أبرم من عقود، مجتنباً الغش والتدليس، متحلياً بالرفق والإحسان للخلق، ومن النماذج القرآنية الجليلة على ذلك:

مراعاة خلق نَظِرة المعسر في دَينه أو وضعه عنه فقال تعالى :﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، جمعت هذه الآية في سياقها أمرين: التوبة من أكل الربا وذلك بأخذ رأس المال فحسب، وردّ الدَّين لأربابه.

وقد ورد في سبب نزولها : "أن ثقيفًا لمّا طلبوا أموالهم التي لهم على بني المغيرة شكوا العسرة وقالوا: ليس لنا شيء، وطلبوا الأجل إلى وقت ثمارهم، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ــ وبادئ ذي بدء نقرر: أنّ التشريع يتدرج في التعامل مع الغرماء فقد يكون الغريم مماطلاً، فجاءت الآية لتثبت "حق المطالبة لصاحب الدين على المدين، وجواز أخذ ماله بغير رضاه، ويدل على أنّ الغريم متى امتنع من أداء الدَين مع الإمكان كان ظالمًا فإن الله تعالى يقول:﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ فجعل له المطالبة برأس ماله، فإذا كان له حق المطالبة فعلى من عليه الدين لا محالة وجوب قضائه" [2].

وما حكم من كثرت ديونه وطلب غرماؤه مالهم ؟

قال القرطبي: المشهور أنه يترك له كسوته المعتادة ما لم يكن فيها فضل، ولا ينزع منه رداؤه إن كان ذلك مزريا به، وفي ترك كسوة زوجته وفي بيع كتبه إن كان عالما خلاف، ولا يترك له مسكن ولا خادم ولا ثوب جمعة ما لم تقل قيمتها، وعند هذا يحرم حبسه[3]، وهذا لأن حقوق الناس قائمة على المشاحّة.

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

[2] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣/٣٧٣.

[3] المرجع السابق، ٣/٣٧٤.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

روى الأئمة واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: أصيب رجل في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : « **تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِغُرَمَائِهِ خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ**» [١]، وفي رواية أبي داود: فلم يزد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غرماءه على أن خلع لهم ماله.

وهنا تبرز الجوانب الأخلاقية في إعساره فبدأ معه بخُلُقين يرتقى عليهما صاحب الأخلاق الفاضلة،

الخلق الأول: فنظرة إلى ميسرة:

روى الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة. قال: ثم سمعته يقول: من أنظر معسراً فله بكل يوم مثليه صدقة. قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة، ثم سمعتك تقول: من أنظر معسراً فله بكل يوم مثليه صدقة، قال: – صلى الله عليه وسلم – له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة.

الخلق الثاني: " وأن تصدقوا خير لكم":

ندب الله – تعالى – بهذه الكلمات إلى الصدقة على المعسر، وجعل ذلك خيراً من إنظاره قاله السدي وابن زيد والضحاك وروى مسلم بسنده عن حذيفة: أتى الله بعبد من عباده، آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا ؟ ــ قال: ولا يكتمون الله حديثا ــ قال: يا رب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي. فقال عقبة بن عامر الجهني وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن التطبيق العملي لهذه الآية ما رواه أبو قتادة: أنه طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، فقال: آلله ؟ قال: ألله، قال: فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه" ، وفي حديث أبي اليسر أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :"من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله"، قال القرطبي: وحديث أبي قتادة يدل على أنّ ربَّ الدَين إذا علم عسرة غريمه أو ظنها، حرمت عليه مباحثته، وإن لم تثبت عسرته عند الحاكم، و" إنظار المعسر" تأخيره إلى أن يوسر و" الوضع عنه" إسقاط الدين عن ذمته، وقد جمع المعنيين أبو اليسر لغريمه حيث محا عنه الصحيفة وقال له: إن وجدت قضاء فاقض، وإلا فأنت في حل.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساقاة، باب: استحباب الوضع من الدين، ح٢٩١٠، ١٨٨/٨.

وكذلك من الأخلاقيات في باب المعاملات لقد وضع الشرع مجموعة من الصفات التي يتحلى بها التاجر المسلم، وذلك لأن التجار سفراء المسلمين، وبعض البلدان فتحوها المسلمين بواسطة التجار؛ لأن هؤلاء التجار كانوا يتصفون بصفات الإسلام، وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى »[١]،

ومن صفات التاجر المسلم: تقي، صادق، أمين، سمح، للزكاة فاعل، يعدل ولا يظلم، لا يطفف، لا يسرق، ولا يغش، لا يتعامل بالربا، و لا يتيمم الخبيث، ولا يحلف كذب، لا يبخس الناس أشياءهم، لا يأكل أموال الناس بالباطل، لا يحتكر، لا يغالي، لا يبيع على بيع أخيه، يفي بالعهود والعقود، يحسن في المعاملة، لا يضر بمصالح الناس " لا ضرر ولا ضرار"، ولذلك نهي صلي الله عليه وسلم عن التناجش[٢].

فالتجارة من الأمور المهمة في الحياة, و قد ذكرها الله تعالى في القرآن تسع مرات, لأسرار لا يعلمها إلا هو. ويقال عدد التسعة يوافق ما أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم: تسعة أعشار الرزق في التجارة، فالتاجر الأمين يجمع بين المعنيين , التجارة مع الله و التجارة مع الناس, و ذلك , بألا تشغل تجارته مع الناس التجارة مع الله من ذكر, والصلاة , والزكاة، وليكن خوفه من يوم القيامة أشد من البوار في التجارة.

كذلك من باب اليسر في المعاملات الإقالة وهي مرتبطة بأخلاق:

فالإقالة لغة: الرفع والإزالة، ومن ذلك قولهم: أقال الله عثرته إذا رفعه من سقوطه، ومنه الإقالة في البيع، لأنها رفع العقد، وتقايلا إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلي مالكه والثمن إلي المشتري، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما[٣].

والإقالة اصطلاحًا: عند الحنفية هي: فسخ في حق المتعاقدين، وعند المالكية: أن يترادا البائع والمبتاع ما كان بينهما من البيع على ما كان البيع عليه، وعند الشافعية: رفع العقد المالي بوجه الخصوص، وعند الحنابلة: هي الرفع والإزالة[٤].

---

[١] أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: التجارات، باب: السماحة في البيع، ح٢٢٨٧، ٣٨/٧.

[٢] النجش وهو أن يزيد في الثمن ولا يريد الشراء ليرغب غيره بعد ما بلغت قيمتها فإنه تغرير للمسلم ظلما فأما إذا لم تكن بلغت قيمتها فزاد القيمة لا يريد الشراء فجائز لأنه نفع مسلم من غير إضرار بغيره إذا كان شراء الغير بالقيمة قال صلى الله عليه وسلم لا تناجشوا في الصحيحين، حَرَامٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْهُ ، لِمَا فِيهِ مِنْ خَدِيعَةِ الْمُسْلِمِ. [ينظر: فتح القدير، للكمال بن الهمام، ١٨٠/١٥٥].

[٣] لسان العرب، لابن منظور، ٥٨٠/١١.

[٤] ينظر: تبيين الحقائق، للزيلعي: ٧٠/٤، المدونة الكبرى، لمالك: ١٦٦/٣ ،أسني المطالب، لزكريا الأنصاري: ٧٤/٢، كشاف القناع، للبهوتي: ٢٤٨/٣. .

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

لبذلك فقد اتفق جمهور الفقهاء على كون الإقالة هي رفع وإزالة العقد، وخالف بذلك المالكية؛ حيث عبروا عن الإقالة بالرد والترك، وذلك لكون الإقالة عندهم عقد بيع جديد.

فالراجح من التعريفات السابقة أن الإقالة: هي رفع للعقد وإلغاء حكمه وآثاره بتراضي الطرفين. فالإقالة سواء أكانت فسخاً أم بيعاً، يثبت بها حق الاسترداد؛ لأنها من التصرفات الجائزة لقول النبي صلى الله عليه وسلم «من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة»[١]، وذلك يدل على أن الإقالة متعلقة بالإحسان، فالمُقيل يحسن إلي المستقيل النادم في عقده بفسخ ذلك العقد، ويدخل السرور إلي قلبه، ويفرج كربته، ولاسيما إذا كان العقد كبيراً، وبهذا فالإقالة تراعي حاجات الناس ومصالحهم، وتفرج كرباتهم.

ولو نظرت غلي هذا الجانب من التشريع هذه الأحكام بهذا التنظيم وبهذه الدقة لوجدت أن هذا كله يصب في المسائل الخلقية؛ فمن خلال تتبع الكثير من الفروع والمسائل في فقه المعاملات نجد الأخلاق حاضرة في فروع فقه المعاملات، مثال قضية إعسار المدين كما تقدم ذكرها، وغيرها الكثير.

المطلب الثالث: الجنايات والعقوبات والأخلاق:

شرع الله – تعالى – أحكام الجنايات والعقوبات لردع المعتدي، ومن ثم السيطرة على شروره وجرائمه، وقطع الطريق أمام أهدافه المدمرة، فهذا كله نظام متكامل بين الجرائم والعقوبات، وهذا ما يقبله العقل والشرع، وهذا كله الغرض منه بناء المجتمع الإسلامي، وتنظيمه تنظيماً ربانياً يضمن للإنسان سعادته في الدارين، ولذلك الشريعة الإسلامية لم تحظر على الناس أنواعاً من السلوك للتضيق عليهم أو الاستبداد بهم والتسلط عليهم، وإنما حظرت بعض الأفعال للحفاظ على هذه المصالح وهي المصالح الخمسة حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ العقل.

لذلك فالشريعة الإسلامية من أكمل الشرائع التي جاء بها الأنبياء من قبل؛ فهي شريعة الرحمة والعدل، ومن قمة العدل والرحمة فرض العقوبات في الإسلام؛ فهي زواجر وضعها الله تعالي للردع عن ارتكاب المعاصي، ومخالفة أوامر الله سبحانه وتعالي.

ولم يطلب الله سبحانه وتعالي من عباده التنازل عن حقوقهم، ولا أن يضعفوا ويجبنوا في المطالبة بها، بل جعل لهم مرتبتين:

١ــ الأخذ بالحق: ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٢].

---

[١] أخرجه ابن ماجه ، ٢/٧٤٠، ح ٢١٩٩، ك: البيوع، باب: الإقالة، صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في الإرواء: ٥/١٨٢.

[٢] سورة الشوري: الآية٤١ .

٢ــ الارتقاء إلى مرتبة العفو ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وهذه الثانية: فقد أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – بقوله تعالي: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢] وفي تعريف العفو: عفوت عن ذنبه: إذا تركته، ولم تعاقبه[٣].

وقال الكفوي: العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو[٤].

ومن النماذج التطبيقية: لقد ندب الله تعالى بالتخلق بخلق بالعفو ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا**﴾ وذلك في أقصى حادثة على نفس أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وابنته الصديقة رضي الله عنها (حادثة الإفك) وفي سبب نزول هذه الآية تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: لمّا نزل هذا يعني قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾[٥] في عائشة, وفي من قال لها ما قال، قال أبو بكر ــ وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنفع أبدًا، بعد الذي قال لعائشة ما قال، وأدخل عليها ما أدخل، قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٦] قالت: فقال أبو بكر: والله إني لأحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقتَه التي كان يُنفِق عليه, وقال: والله لا أنزعها منه أبدا[٧] ، مراعاة أخلاق العفو واتباع المعروف والأداء بإحسان.

الحدود زواجر أم جوابر[٨]:

لقد شرع الله تعالي العقاب لمنع الناس من ارتكاب المحظور وحملهم على فعل المأمور؛ حيث أن الأمر بفعل شيء والنهي عن فعل شيء لا يكفي في تنفيذه؛ فالعقاب هو الذي يحمل على التنفيذ ويجعل للأمر والنهي معني مفهوماً ونتيجة حقيقية وهو الذي يزجر ويردع الناس عن المعاصي ويقضي على الفساد في الأرض، **وقال الماوردي:** " والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة

---

[١] سورة الشوري: الآية ٤٠.

[٢] سورة الأعراف: الآية١٩٩ .

[٣] فتح القدير، للشوكاني، ت: يوسف الغوش، ٤١٩/١، ط١، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

[٤] الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص٥٣، ت: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

[٥] سورة النور: الآية١١ .

[٦] سورة النور: الآية٢٢ .

[٧] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ١٢٠/١٨، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

[٨] تنظر المسألة واختلاف الفقهاء فيها في: فتح القدير، لابن همامك٥/٣٢٧، شرح الزرقاني على الخليل: ١٨٠/٨، المهذب، للشيرازي: ٣٠٥/٢، المغني، لابن قدامة: ٣٢١/١٠، التشريع الجنائي، لعبد القادر عودة: ٤٤٣/٢، فقه الجنايات والعقوبات في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الخولي: ص١٤٦، ط١، ٢٠١٥م.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

بعاجل اللذة فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً وما أمم به من فروضه متبوعاً فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم"[١].

وقَالَ ابن تَيْمِيَّة: « من رحمة الله سبحانه وتعالى أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض في النفوس والأبدان والأعراض والأموال والقتل والجراح والقذف والسَّرِقَة، فأحكم سبحانه وتعالى وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الأحكام وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر مع عدم المجاورة لما يستحقه الجاني من الردع[٢].

فهدف الشَّارِع الحكيم من العقوبة:" أن يكون للعقوبة قوة المنع من الإقدام على الجريمة قبل وقوعها وإذا وقعت فلا بدّ أن يكون في العقوبة ما يردع عن العود. وفي ذلك يقول ابن الهمام الحنفي عن العقوبات[٣]:" إنها موانع قبل الفعل زواجر بعده، أي أن العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل واتباعها بعده، يمنع العودة إليها، وقد ضمن الإسلام ذلك في نوع ما يعاقب به".

وبذلك تكون العقوبات في الإسلام زواجر كما هي جوابر[٤]، زواجر لأنها تزجر الناس عن ارتكاب الجرائم أي عن مخالفة الأحكام الشَّرْعية والدليل على كونها زواجر قول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي في شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يُقتل انكفّ عن صنعه فكان في ذلك حياة للنفوس ولأن الغالب من حال العاقل أنه إذا علم أنه إذا قَتل قُتل فإنّه لا يُقدم على القتل، وهكذا جميع الزواجر.

وترى الباحثة: أنّ تطبيق العقوبات في الشريعة يحقق ما تقدم إلى جانب أنه سوف يطارد الجريمة ويحصرها في مجال ضيق بل يقضي عليها قضاء تاماً فيعيش المجتمع ملتزماً إيجابياً بعيداً عن المخالفات وبذلك يتحقق صلاح حال البشر.

كما أن العقوبات زواجر للجناة وردع وتأدب لهم، وإرضاء المجني عليهم؛ بحيث تردع الجاني عن تكرار فعله وتمنع غيره من التشبه به، وكذلك هي جوابر للمجني عليهم، وهذه الجوابر قد تكون حسية ومادية، كما هو الحال في وجوب ضمان ما أخذ السارق، والدية في القتل وقد تكون معنوية وذلك بحصول الارتياح وذهاب الغيظ والتشفي والثأر.

---

[١]) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص٢٧٥، .

[٢]) السياسة الشرعية، لابن تيمية،ص٩٨، ط١، وزارة الشئون الإسلامية وزارة الأوقاف والدعوة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ .

[٣]) فتح القدير ، لابن الهمام،١١٢/٤.

[٤]) ذهب أكثر العلماء إلى أن العقوبات الشَّرْعية زواجر وجوابر معًا وخالف في ذلك الحَنَفِيَّة فقَالوا: إن الحدود والتعزيرات شرعت فقط زجرًا لأرباب المعاصي ولا يحصل التخلص من أثر الذنب والعقاب الأخروي إلا بتوبة الجاني لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة/٣٣] أي أن لهم عقوبتين دنيوية وأخروية إلا من تاب.[ينظر: مغني المحتاج، للشربيني، ٣٥٩/٣، تبيين الحقائق، للزيلعي، ١٦٣/٣] .

فتطبيق العقوبات هو جزء من الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي وصف الله بعثته بأنها رحمة كما في قوله تعالي: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ فتطبيق العقوبة رحمة بالمجتمع كافة، فلو تتبعنا آثار تطبيق العقوبات في المجتمع الإسلامي لظهر لنا مقصد الرحمة واضحاً جلياً؛ فحينما تطبق العقوبة على مستحقها ففي ذلك رحمة بالمجني عليهم من جانب، ومن جانب آخر رحمة للمجتمع بحمايته من هذه الجرائم، ويعد هذا جانب من الجوانب الأخلاقية التي تحث الشريعة الإسلامية على تطبيقها والعناية بها.

فالأخلاق في الإسلام إنما جاءت لمصلحة الأفراد والمجتمع؛ فبالأخلاق تطمئن النفوس، وتأنس الأرواح، ويشيع الحب والمودة والترابط والتعاون المجتمعي بين أفراده؛ فهي تربي النفس، وتكبح جماحها عن كل ما ينافي الشريعة الإسلامية، فمن هنا برزت أهمية التربية الخلقية في حياة المسلم، فكانت ضرورية لكي يتحقق التماسك والتجانس الاجتماعي، ومن ثم تتحقق روابط القوة المجتمعية بين أطرافه، كما أن التربية الخُلُقية وسيلة خيرة للقضاء على المشكلات والجرائم، والانحرافات بأشكالها وألوانها، كما أنها غاية لنشر السعادة؛ لأن الشقاء والتعاسة تنشأ نتيجة الشرور، وانتشار الانحرافات والخرافات بين أفرادها؛ فهي تربية خلقية تزيل كل الفتن بين أطياف المجتمع، وتربي أبناءها على فعل الخيرات ، كما أنها تحمي الأجيال من الفساد، ومن تسرب الأخلاق الذميمة إلي نفوسهم، كما أنها تعمل على خلع جذور الشرور، وتزكية النفس، وتعمل على بناء جدار حصين ضد الإصابة من الأمراض الأخلاقية، حتي إذا وقعوا فيها، لا يتأثرون بفسادها[1]، فحقيقة الأخلاق في الإسلام في كونها تجعل الإنسان مفتاحاً للخير ومغلاقًا للشر في كل الظروف والأحوال؛ لقوله تعالي: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

إن الأخلاق في الإسلام هي منهج وطريق وعمل؛ فذكر القرآن الكريم لمجموعة من القيم الخلقية كالصدق والإخلاص والمروءة والشجاعة والصبر والثبات والتضحية والإحساس بالمسئولية وتحمل الشدائد والشعور بالواجب والنجدة والكرم والحرية والمساواة والعدل والإحسان وغيرها. فالقرآن الكريم لا يعرض للقيم الأخلاقية إلا من خلال واقعة أو ممارسة، لأن الأخلاق في الإسلام منهج عملي تطبيقي وليس هيكل نظري فحسب، وليس إطار دون مضمون ولذلك من الخصائص المميزة للأخلاق في الإسلام إنها تجمع ما بين النظرية والتطبيق.

إن معيار صلاح العبادة ما تحدثه في النفس من تغير وفائدة. وعليه فإن أداء العبادات على وجهها الصحيح كفيل بإصلاح الأخلاق ورقيها.

الخاتمة:

[1]) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، ص٦، ط٢، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

[2]) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١. الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالعبادات، حيث إن العبادات منتجة للأخلاق ومحققة لها.

٢. شمولية الأخلاق في الإسلام مرتبط بشمولية الإسلام، أي جزءٌ من كل.

٣. علاقة العبادات بالأخلاق تتجلي بالامتثال، حيث يتم ذلك بمرحلتين الأولي: الإتيان بالعبادات، والثانية: امتثالها كالسجية.

٤. الأخلاق الإسلامية لها خصائص تنفرد بها من حيث الربانية والشمول والوسطية والثبات واليسر والواقعية.

٥. وعامل الثبات في الأخلاق يبعث بدوره الطمأنينة في الحياة البشرية عامة.

٦. أن الأخلاق الإسلامية عملية هدفها التطبيق الواقعي.

٧. لكل عبادة سر خاص في إصلاح العبد، فالعبادات للإنسان كالأدوية للأبدان.

٨. فالعبادات أسوار تحرص الدين وتصون اليقين، ومن وفق إلي العبادات أعين على الفضائل، ومن رزق الفضائل وأبعد عن الرذائل أعين على العبادات.

٩. أداء الصلاة بأركانها وشروطها والمداومة عليها في أوقاتها وجماعاتها وإخلاصها، ينعكس على المسلم في مجمل أخلاقه وسلوكه وحياته.

١٠. المعاني التي تدور عليها الزكاة تبين علاقتها بالأخلاق وتهذيب الإنسان، فهي تطهير للنفس من الرذائل، وغرس للفضائل والمحامد.

١١.لقد شرع الله الصيام من أجل تزكية النفس واكتساب مكارم الأخلاق وامتثالها عمليًا وسلوكيًا.

١٢. أن الحج مؤتمر للأخلاق وتربية للنفس على معالي الأخلاق، والبعد عن الرذائل.

١٣. تتحقق الأخلاق الإسلامية جلية وواضحة في فقه المعاملات.

١٤. الشريعة الإسلامية أقرت العقوبة الإسلامية لدرء المفاسد وجلب المصالح، ولذلك لمصلحة المجتمع العامة.

التوصيات:

- أوصي الباحثين من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا في التخصصات الشرعية، أوصي باستخلاص الجوانب الأخلاقية من الشعائر الإسلامية مثل الدعاء، والتسبيح والاستغفار وغيرها من القيم الروحية.
- عقد المؤتمرات والندوات في الجامعات، والتي تتناول الأخلاق وأهميتها ونفعها العام؛ وذلك تحقيقًا لمقصد الشريعة من وراء الأخلاق الإسلامية.

- تدريس مقرر الأخلاق الإسلامية ضمن المقررات الإجبارية في الكليات والمعاهد الشرعية، وكذلك في الجامعات والكليات الحكومية والأهلية والخاصة.

أعتقد أنني بمثل هذه التفاصيل استطعت -لحد ما- أن ألقي بعض الضوء على ما جاء في العبادات وأثرها في الأخلاق الإسلامية دراسة فقهية تطبيقية.

قد قلتُ ما قلتُ، إن صَوابًا فمِن الله، وإن خَطأً فمن نَفسِي والشَّيطان، وأَستغفِر الله إنّه كان غفّارًا، واللهم صل وسلم علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما ذكره الذكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

المصادر والمراجع:

١. إحياء علوم الدين، للغزالي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٦هـــــــ .
٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن الميداني، ط٥، دار القلم دمشق،١٤٢٠هـــــــ - ١٩٩٩م.
٣. الأخلاق والسير، لابن حزم، ت: عادل أبو المعاطي، ط١، دار المشرق العربي، القاهرة، ١٤٠٨هـــــــ - ١٩٨٨م.
٤. الأدب الصغير والكبير لابن المقفع، شرح سعيد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.
٥. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الصيد الزناتي، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م.
٦. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط٩، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٤٢١هـــــ - ٢٠٠٠م.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي، ط١، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨. الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة ، محمد جميل الخياط، ط٢،جامعة أم القري، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٩. التربية الأخلاقية، مقداد يالجن، رسالة دكتوراه منشورة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٠. التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفي محمد الطحان، ط١٠، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١١. تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي، ت: محيي هلال السرحان، بيروت، ١٩٨٣م.
١٢. التعريفات ، للجرجاني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.
١٣. تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه، ط٢، دار الكتب العربية، بيروت،١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٤. تهذيب الأخلاق، للجاحظ ، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، القاهرة،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
١٥. تهذيب اللغة، للأزهري، ت: محمد عوض، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ت: عبد الرحمن معلا، ط١، مؤسسة الرسالة، مجمع الملك فهد، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. جامع بيان العلم وفضله، للقرطبي، ت: أبو عبد الرحمن فواز، ط١، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٨. روائع الأعجاز في الوضوء والصلاة والصوم، أمل ياسين، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
١٩. روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طباره، ط٢٠، ١٩٨٠م.
٢٠. زاد المعاد، في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، [د.ت].
٢١. سنن أبي داود، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٨ه- ١٩٩٨م.
٢٢. السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٣. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـــــ - ١٩٩٤م.

٢٤. الصحاح في اللغة، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـــــ- ١٩٨٧م.

٢٥. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٧٤هـــ - ١٩٥٥م.

٢٦. العبودية، لابن تيمية، ط٧، ت: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ١٤٢٦هـــــــ - ٢٠٠٥م.

٢٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، للنيسابوري ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م.

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، [د.ت].

٢٩. فتح القدير لابن الهمام، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ ـــــــ ١٩٩٥ م.

٣٠. فتح القدير، للشوكاني، ت: يوسف الغوش، ط١، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٢٨هـــــ - ٢٠٠٧م .

٣١. فقه الجنايات والعقوبات في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الخولي، ط١، ٢٠١٥م.

٣٢. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ط٢٠، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـــــ - ٢٠٠٥م.

٣٣. القرآن الكريم رؤية تربوية ، سعيد إسماعيل على، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٨هـــــــ - ٢٠٠٧م.

٣٤. لسان العرب ، لابن منظور، ط٣، دار الصادر بيروت، ١٤١٤هـــــــــ.

٣٥. مجمع الفتاوي ، ابن تيمية، ت: أنور الباز وعامر الجزار، ط٣، دار الوفاء ، ١٤٢٦هـــــ -٢٠٠٥م.

٣٦. معالم التنزيل، للبغوي، ت: محمد عبدالله النمر، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، مجمع الملك فهد، ١٤١٧هـــــــ - ١٩٩٧م.

٣٧. معجم الصحاح، للجوهري، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٣٨. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس زكريا، ت: عبد السلام هارون، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس زكريا، ت: عبد السلام هارون، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠. المفردات ، للراغب، ت: صفوان عدنان، ط١، دار القلم الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ .

٤١. منهج الحياة الإسلامية، لأبي الأعلى المودودي، ت: أحمد عبد الرحمن، ط١، دار التوزيع للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .

٤٢. الموافقات ، للشاطبي، ت: مشهور بن حسن، ط١، دار بن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٣. موسوعة الأعجاز القرآني في العلوم وطب الفلك، نادية طيارة، ط٢، مكتبة الصفا، أبوظبي ، الأمارات، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٤. هكذا نصوم ، توفيق محمد السبع، مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة، أكتوبر ، ١٩٧١م .

٤٥. الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ط١٠، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.